اشكالات مطروحة في معركة القدس

عادل عبد المهدي

2024/9/25

هذا بحث كُتب لملحق العدالة بتاريخ 2024/9/25، اي قبل استشهاد السيد حسن نصر الله طاب ثراه. نعيد نشره للفائدة والتعميم مع الانتباه ان الكثير من الامور قد حصلت بعد استشهاد السيد لم يتم تناولها في هذا البحث. لذلك اقتضى التنويه.

1- احتمالات انتصار او هزيمة الاحتلال الصهيوني؟

هناك فرق بين هزيمة وردع العدو من جهة، وسقوطه وانهياره من جهة اخرى. العدو الان –محسوباً بعموم الحرب- مهزوم لفقدانه قدرة الردع المطلقة التي كان يمتلكها سابقاً. والتي كانت كفيلة بان تمنع المقاومة ان تكون ندية له. تؤذيه كما يؤذيها، وتبادره كما يبادرها. فهو متراجع ويفتقد القدرة على حسم المعارك، كما كان يفعل. ويعجز عن كسب العديد من المعارك كما كان شأنه. ويتعرض للعديد من الهزائم الميدانية والبنيانية.
كل هذا صحيح، وعليه الكثير من الشواهد والبراهين. لكن الكيان لم يسقط كقوة تدميرية، وكيان متوحش، وسلطات ومجتمع لا يهمها سوى القتل والانتقام وايقاع الكثير من الاذى بالمقاومة وجماهير الشعب. فما زال يملك الكثير من مقومات القوة. لكنها قوة تعبىء وتنظم خصومه. قوة غير فاعلة كما كانت سابقاً. تجيد القتل لكنها فقدت قدرات التأسيس المستدام وتوليد انظمة قابلة للعيش والتعايش. فعوامل الضعف -المتعددة الجوانب- باتت هي الخط الصاعد في مسيرته. ففقد الكثير من قدراته وحيويته. التي كانت تمنحه الوظيفية السابقة. سواء مع الخارج الذي اسسه كجزء من مشروعه لاستعمار المنطقة والسيطرة عليها. او وظيفته في حل المسالة اليهودية التي عانت منها اوروبا لقرون طويلة. والتي كان تاسيس وطن قومي لليهود احد

المعالجات لحل هذه المسالة. فترافق سايكس/بيكو (1916) لاستعمار وتقسيم المنطقة -بعد انهيار الخلافة العثمانية- مع وعد بلفور (1917) لتأسيس دولة قومية لليهود. فتراجعت قدراته الردعية عن الدفاع عن نفسه منفرداً، وصار وجوده يتطلب وجود القوات الاجنبية لحمايته. وتحول الكيان اليوم الى عبء على قوى الهيمنة الغربية. كلما غرق، كلما سحب معه الى القاع القوى الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة. وهو ما يفسر التعبير الذي يروجه الغرب بالقول: "من حق اسرائيل الدفاع عن نفسها". والشعار نفسه يكشف التناقض. فاسرائيل انشئت ليس كحالة دفاعية، بل كحالة هجومية. لاحتلال الارض، وطرد سكانها، وتفكيك الامتين العربية والاسلامية. وبناء منظومة جديدة قابلة للعيش والتعايش، كما تعايش المستوطنون في القارات الجديدة وابادوا شعوبها، او حولوهم الى فولكلور تاريخي، او انسوهم هويتهم وتاريخهم وذواتهم. فاسرائيل والغرب كانا اقوياء الى درجة لم يكونا بحاجة لمثل هذا الشعار للدفاع عن حق موهوم لاسرائيل. لذلك نقول ان في ذلك تناقض، وهو يكشف ان هجماتهم اليوم هي بالعين التاريخية هجمات تكتيكية لاسترداد قدرات الردع والقوة، وهي بذات العين انتقال الى الدفاع الاستراتيجي رغم عنفها ودمارها. وهو ما يحصل عادة في المراحل التاريخية الاخيرة لكل الصراعات والحروب وانهيار الامبراطوريات وملحقاتها.

اما مؤشرات الهزيمة فيكفي رسم خط بياني بين الوضع الذي كنا عليه في 1948 و1967، واتفاقات "كامب ديفيد" و"اوسلو" و"وادي عربة" و"التطبيع" و"اتفاقات ابراهام"، والافاق المظلمة التي كنا نسير فيها من جهة، ومن جهة اخرى"طوفان الاقصى"، ومعارك غزة، ولبنان، والبحر الاحمر، ووحدة الساحات في عدد من بلدان العالمين العربي والاسلامي. فالمسار الاول في تراجع مستمر، والمسار الثاني في تقدم مستمر. ففي داخل الكيان تزداد الانقسامات الحادة والصراعات الوجودية المدمرة. وتجري للمرة الاولى العمليات الحربية الاساسية داخل الاراضي المحتلة (عدا لبنان في الاونة الاخيرة)، ويضعف الاقتصاد ويزداد العجز، وتتراجع الاستثمارات، وتهرب رؤوس الاموال، ويخفض التصنيف الائتماني لدولة الكيان، وتزداد

الهجرة المضادة والهجرة الداخلية الواسعة. وتقع خسائر كبيرة في صفوف الجيش والمستوطنين، ويصيبه الارهاق ويعجز عن تحقيق اهدافه المعلنة على كافة الجبهات الداخلية (كغزة والضفة) او الخارجية (كلبنان وايران وجبهة المقاومة في اليمن والعراق وغيرهما). مع تصاعد كمي ونوعي في التأييد العالمي الشعبي والحكومي لفلسطين وادانة العدو، وسحب عدد من الدول سفرائها من دولة الاحتلال، وصدور قرارات محكمتي العدل الدولية والجنايات الدولية ومجلس الامن بادانة اسرائيل باعتبارها دولة فصل عنصري، (ترفض بقرار من الكنيست بقيام دولة فلسطين باية صيغة) تقوم باعمال ابادة جماعية وجرائم حرب وضد الانسانية. يعكس هذا المؤشر اعتراف 124 دولة في الجمعية العامة للامم المتحدة بدولة فلسطين، ومعارضة 14 فقط، اكثر من نصفها دول صغيرة وقواعد عسكرية امريكية.

ففي حرب غزة ولبنان اليوم لا تقاس الهزيمة والنصر بعدد الضحايا من المدنيين، وقتل القادة والدمار والمهجرين، على اهمية ذلك كله. والا لاعتبر الفرنسيون والالمان والامريكان منتصرون لكثرة ما اوقعوا من ضحايا وتدمير وتهجير في الجزائريين والروس والفيتناميين والافغان والعراقيين وغيرهم. الهزيمة والنصر تقاس بقدرتهم على تفكيك معادلات المقاومة و"علة وجودها" من جهة. وبقدرة المقاومة بالمقابل من تفكيك معادلات العدو و"علة وجوده"، جزئياً اولاً ثم كلياً. او كما قال سماحة السيد حسن نصر الله، الفوز عليه الان بالنقاط، وليس معركة التحرير كاملة.

معادلاتنا تتلخص بشرعية حقوقنا ومطالبنا، وبامتلاكنا السلاح وقدرتنا على ردع العدو وارباكه وتعطيل مشاريعه وادخال اليأس في مستقبله. فهذه ارضنا ان هاجرنا من جنوبها الى شمالها فنحن في ارضنا. اما هو فان هاجر من جنوبها لشمالها او بالعكس فانه سيغادر ارضاً سبق وطمع بها واحتلها. وضحايانا شهداء سيولد منهم مئات والاف المقاومين. وقتلاه نزيف يصعب تعويضه. ويضعف بقاء مستوطنيه او مجيء غيرهم. ودمار بيوتنا ومصالحنا يسهل بناؤها فهي اساساً دور ومصالح بسيطة متواضعة. اما دمار مدنه ومستوطناته ومصالحه، فهي عملاقة. فان انهارت فيصعب بناؤها لحجومها

الثقيلة وكلفها العالية. فهي قد بنيت في مراحل قوة الغرب والصهيونية الصاعدين انذاك. فمعادلته في عدم شرعيته تزداد وضوحاً. وقدرته على ابادتنا والقضاء على مقاومتنا، او في كسب التاييد لقضيته في تراجع مستمر. خصوصاً وان المؤسس والداعم الرئيس له وهو الغرب -بما في ذلك الولايات المتحدة- في مرحلة تراجع وتفكك تاريخيتين. يأكلون باستمرار من اصولهم ويعيشون على استمرارية قوتهم الموروثة، التي تتآكل تحت انظارنا كما تآكلت قدرات وامكانيات الامبراطوريات العظمى تاريخياً.

2- ما الفرق بين استراتيجية العدو واستراتيجية المقاومة؟

باختصار ان استراتيجية العدو هي اخضاع المقاومة لحرب سريعة خاطفة، وباستخدام التكنلوجيا والاعلام والحرب النفسية. وبالاعمال الجاسوسية والاغتيالات. بينما استراتيجية المقاومة هي حرب المقاومة الطويلة الامد، واستنزاف العدو. فالعدو المدجج بالسلاح والمدعوم عالميا بقدرات هي الاعلى دولياً، لا يمكن قهرها بذات الاستراتيجيات وبنفس الاسلحة. فلابد من اعتماد اسلوب حرب المقاومة لتحرير الاوطان. وقهر الاستعمار بارهاقه واستنزافه وادخال اليأس والاحباط في صفوفه، خصوصاً مستوطنيه وداعميه وقادته. فالاستعمار في بلداننا استعمار مركب. فهو ليس كاستعمار الصين والهند والبلدان الاخرى المتمثلة بوجود جيش اجنبي على الارض الوطنية. بل هو قد قام بتقسيم الامة لبلدان، زرع في كل واحد منها اهدافاً وطنية تتعارض مع الاهداف الوطنية للدول الشقيقة الاخرى. اهداف منكفأة على ذاتها، ملغومة بالكثير من القنابل الموقوتة مع مركباتها الداخلية وعلاقاتها بجوارها. لتتحول "علة وجودها" -شرعية او غير شرعية- مرتبطة بمدى تماهيها او تعارضها مع نظام الهيمنة والمتربول العالمي.
فالأمر لم يعد اختلاف او صراع مكونات مختلفة داخل الامة الواحدة او البيت الواحد. فان انتصر واحد على الاخر فانه يبقى في اطار الشرعية التوحيدية –القيمية والاعتقادية- التي يتأسس عليها، بغض النظر عن مدى جديتها في

خدمتها والانصياع لها. بل تحولت العلاقات بين اعضاء الجسم الواحد، الى اجسام مختلفة بعضها عن البعض الاخر، ان لم نقل تجد اولوياتها في صراعها مع داخلها وجوارها، لنتحول جميعاً الى دول مستعمَرة وتابعة وذليلة وضعيفة.
صحيح ان هذه التطورات بدأت من الاعلى وقمم القيادة والنخب، وان لكل ذلك مقاومات ما زالت فاعلة. لكنها سرت وتسري تدريجياً الى القواعد الجماهيرية والشعبية بنسب مختلفة. ليتحول الصراع ليس الى صراع بين شعوبنا وبلداننا وقوى الاستعمار والصهيونية، بل ليصبح صراعنا مع انفسنا واشقائنا وجيراننا.
انطلاقاً من هذا الواقع المجزأ الضعيف المملوء بالعقبات والمصدات المعرقلة للمقاومة –عربياً واسلامياً- في حربها التحريرية الطويلة الامد، كان لابد لعملية الانقاذ والمقاومة ان تأخذ شكلاً جديداً لتمتلك شرعية التعبئة والقتال والتصدي لهذا العدو المشترك. وان بناء هذه العملية لا تشبه باي شكل كان ما جرى في الصين او فيتنام او بقية البلدان حيث الصراع هو بين طرفين اساساً. العدو (مع جواسيسه وعملائه والمؤسسات التي ينشئها) والشعب المستلب الحقوق. فهنا نحن امام واقع يختلف نوعياً. فالمشكلة باتت في جزء كبير مع الشعب نفسه. فالعراقي او اللبناني او الاردني او المصري بات يؤمن ان اولويته هي واقعه المحلي. وغُيب عن وعيه ان واقعه المحلي هو ليس الفقر او فقدان السيادة والحقوق المسلوبة التي اغتصبها وارسى اسسها ومقومات استمراريتها الاستعمار والصهيونية ابتداءاً، بل على العكس ان هذه ترتبط بالاهداف الجديدة التي تصاعدت مع تقادم مفهوم "الدولة الوطنية او القومية" المعاصرة، وتوغل اختراقات نظام الهيمنة العالمي، القيمية والتنظيمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من مصادر قوة وبناء. وان عدوه هو جاره وابن جلدته ومكوناته ونفسه وتاريخه وتراثه وهلمجرا. فصرنا "اعداء انفسنا". وصارت مشاكلنا الاساسية مع حكوماتنا ومع جوارنا. وصرنا نلجأ لمستعمرينا ومؤسساتهم وافكارهم للحكم بيننا، ولانقاذنا من مشاكلنا. فدخلت شعوبنا في مراحل "وعي مصنع" مزروع فينا. ونحن نرى فيما يسمى بـ"الذكاء الاصطناعي" نماذج جبارة لما يمكن ان

تجريه المؤسسات التي تهيمن على صناعة الفكر والثقافة والوعي ان تصنعه. فولدت قطاعات واسعة تعادي فكرة التحرير والمقاومة وتقف بوجهها، وتنحاز لجبهة العدو ولا تستغل تناقضاته لفك الارتباطات به وبهيكليته وقواعد عمله الحاجزة لتحررنا وانطلاقنا. فهو يقوم بذلك ليس خوفاً او تردداً -كما هو الحال في جميع معارك التحرير في الامم الاخرى-، بل يقوم بذلك وهو يدافع عن قناعات تشكلت لديه باتت تشكل وعيه. وعن مصالح صغيرة ومباشرة دفاعاً عن استلاب ونهب اساسية وبعيدة الامد تخدم مصالح نظام الهيمنة والكيان الصهيوني.

لذلك بقينا ندور في حلقة مفرغة لعقود وقرون طويلة وكان لابد من ثغرة نحدثها لاختراق هذا الوضع وضخ روح المقاومة لتحرير اوطاننا ولمقاومة عدونا وتوحيد صفوفنا، او بعضها. كان لابد من الانطلاق من الوقائع الوطنية المحلية لتأسيس جزر او قلاع مقاومة –ولو صغيرة- تسعى لكسر الطوق على صعيد شعبي ومفاهيمي وتنظيمي. كان لابد من اللجوء للعقيدة الاصلب والاكثر احاطة وشمولية ونقصد بذلك الاسلام. فمرت الامة بعملية معقدة من حركات متعددة ابرزها الثورة الاسلامية في ايران وابقاء جذوة المقاومة مشتعلة في فلسطين وبعض الدول على صعيد قادتها وبعض فصائل شعوبها، والنهضة الاسلامية في الاوساط الشيعية من جهة، والسنية من جهة اخرى واللتان، حاول الاستعمار والصهيونية اللعب على اوتارها في قضايا عديدة، والتي ساهمت معارك فلسطين الاخيرة في التخفيف من الكثير من مخاطرها، وبناء وقائع توحيدية تبشر بكل خير.

فوصلنا الى العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين امام واقع مختلف عما كان عليه الامر خلال العقود السابقة. يتلخص بالواقع الذي نعيشه اليوم. فمن جهة حركت الافكار الثورية لحسن البنا وغيره من مصلحين ومقاومين شرائح مهمة من الجمهور المسلم السني. كما حركت الثورة الحسينية وشعائرها المتجددة والثورة الاسلامية في ايران شرائح مهمة من الجمهور الشيعي. واصبحت لدينا عدة مستويات للعمل تسعى لتأسيس منطق وحركية الوحدة في اطار الاختلاف، والتي يمكن تلخيصها بالشكل الاتي:

أ- حكومات حسمت امرها. وتصالح شعبها وحكومتها مع خيارات المقاومة والتحرير، إن كان ذلك في مواجهة نظام الهيمنة العالمي والكيان الصهيوني، كايران واليمن.

ب-حكومات لعبت عوامل جيوجغرافية/جيوسياسية دوراً مهماً في بقائها معادية صلبة للصهيونية والى حد كبير لنظام الهيمنة، كسوريا.

ت-حكومات تقبل باختيار -او كامر واقع- قيام فصائل في عملية مواجهة الهيمنة والكيان الصهيوني. تتمثل بقيام ظروف مساعدة او انقسامات داخل تركيبات الحكومات، ساعدت على قيام قوى تحررية مسلحة تهدف في آن واحد للتخلص من القوات الاجنبية المتواجدة على اراضيها او المهددة لامنها كما في فلسطين (مع السلطة الوطنية) والعراق (محاربة داعش والقوات الاجنبية) ولبنان (تحرير لبنان ومزارع شبعا والاعتداءات الاسرائيلية).

ث-حكومات وطنية وشعوب ما تزال روح المقاومة والتحرير قوية لديها كما في الجزائر وتونس وقطر والكويت وتركيا وعُمان، والعديد من الدول العربية والاسلامية. فتقف سياسياً واعلامياً ومعنوياً مع اعمال المقاومة والتحرير، لكنها ترفض قيام جماعات مقاومة داخل بلدانها، او ان ترفع هي كحكومات ودول سلاح المقاومة. بل بقي بعضها يحتفظ باقوى العلاقات بنظام الهيمنة وحتى بالعدو الاسرائيلي.

ج-حكومات ودول سارت في طريق التطبيع مع العدو الصهيوني وتتماهى تماماً مع متطلبات نظام الهيمنة، لكن شعوبها تتمتع بثورية وتعبئة مختلفة كما هو حال الاردن ومصر والبحرين والمغرب وغيرهم.

من هذا الخليط كان لابد من ان تخترق نظرية التحرير جميع التناقضات الموجودة بين هذه المركبات التي كانت يوماً جسماً وكتلة واقليماً واحداً. محور الحركة في جميع هذه هي حركة المقاومة في فلسطين ذاتها، ومحور الاسناد او ما يعرف اليوم بمحور المقاومة الذي مسك بقيادة الامور، واستطاع

تحويل الانتباه نحو القضية الفلسطينية، واوجد لنفسه انحيازاً عالمياً تقدم على ما كان العدو يتمتع به من هيمنة وتفوق.

ولاشك ان استراتيجيات المقاومة واسلحتها في ذلك ستختلف عن استراتيجية واسلحة العدو. فالعدو يريد لحربه مع المقاومة ان تكون سريعة وعنيفة، قاصمة للظهر. بينما يجب ان تكون بالنسبة للمقاومة طويلة واستنزافية لتعبيء صفوفنا من جهة، ولتفكك معادلات العدو من جهة اخرى.

واذا اخذنا معارك غزة ولبنان ونظرنا الى مسألة تعويض المقاتلين والسلاح. فبالنسبة للمقاتلين ستكون خسارة العدو في مقاتليه باهضة ويصعب عليه تحمل الكثير منها وتعويضها، ليضطر الان الى عرض التطوع لطالبي اللجوء مقابل منحهم الاقامة، او تجنيد "الحريديم"، مما يقود لانقسامات حادة داخل مجتمعهم. اما في حالة المقاومة فتدلل معارك غزة كيف استطاع المقاتلون من تعويض خسائرهم البشرية بسرعة وسهولة معقولة. فاذا كان الامر كذلك في غزة المحاصرة، فالامر اوضح في لبنان. اذ سيكون ايسر لسهولة وصول مئات الالاف من الذين يرغبون برفد المعركة بالرجال سواء من داخل لبنان او من البلدان العربية والاسلامية. كذلك الامر بتعويض الاسلحة. فرغم الدعم الغربي خصوصاً الامريكي الكبير، لكن اسلحة العدو المدمرة معقدة وغالية، ولا تنتجها سوى مصانع قليلة. وهناك ازمات شحة ونفاذ، خصوصاً مع معارك اوكرانيا. لهذا ستنتزفهم الحرب الطويلة. بينما اسلحة المقاومة بسيطة، يسهل تعويضها اما بشحنها السريع من جبهات اسناد المقاومة، او لسهولة تصنيعها محلياً واستخدامها وبكلف متواضعة. كما يسهل انتشارها بكثرة لتعطي مفعولها عبر الزمان والمكان بما يكلف العدو ويرهقه. فتواجه قدرات العدو الجوية الهائلة باسلحة تعتمد الهندسة العكسية كالطائرات المسيرة والصواريخ وحفر الانفاق، وان يكون المقاتلون كالسمك في مياه بيئتهم وشعوبهم وامتهم. التي ترفدهم بدعمها وامكانياتها كما تطور في مفهوم "وحدة الساحات" و"جبهات الاسناد".

وعليه فان كل من يطالب المقاومة او يريد ادخالها في حرب سريعة مدمرة فانه يجرها الى استراتيجيات العدو التي يتفوق فيها على المقاومة، سواء أكان واعياً لفعله هذا ام جاهلاً له. بينما استراتيجية المقاومة هي استمرار تبنيها لقوانين حرب المقاومة الطويلة الامد التي تستنزف العدو وتكسر معادلاته في المنطقة والعالم.

ولاشك هنا ان العدو الداخلي والخارجي له فضل في نجاح حرب المقاومة الطويلة الامد. فالعدو بغطرسته وطمعه وتعجله في حصد النتائج كان يعتدي على قوى يدفعها دفعاً لتقف مع صف المقاومة. كان بفعله وكسره لاي حدود، يكسر حدود الانقسامات بين شعوبنا وبلداننا، ويوحد جغرافياتنا. كان بابادته الجماعية لا يميز بين المقاتل والمدني. فلا يحمي المدني نفسه بمدنيته عند بقاءه خارج المعركة، فيضطر للانضمام اليها. ليصبح حمله السلاح خلاصاً له، وليس تهلكة او تورطاً ينقاد اليه.

3- هل ستقف الدول الوطنية مع معركة التحرير؟

منذ 75 عاماً واكثر فرضت على الامة كلها -وليس فلسطين وحدها- معركة وجودية بنيانية تعيد تركيب منطقتنا وامتنا لصالح نظام الاستعمارين القديم والجديد ونظام الهيمنة العالمي والكيان الصهيوني. لذلك هي مرتبطة بمعركة الانسانية كلها في مواجهتها للاستكبار والظلم والعدوان والاستغلال. ولذلك ايضاً، لم يكن غريباً ان نشهد ثورة عالمية عارمة لتأييد فلسطين ولتفكيك سرديات الكيان الصهيوني ونظام الهيمنة العالمي بعد طوفان الاقصى والحرب في غزة. ولذلك ايضاً يشير البعض ان حركة الوعي والاحتجاج كانت اعلى واكثر تأثيراً في الدول الغربية عنها في الدول العربية والاسلامية. ولعل ما اوردناه من سياقات وبناءات حولت اولوياتنا لان نكون "اعداء انفسنا" تفسر هذا التقاعس النسبي لدى جماهيرنا، والحركية النسبية لدى غيرنا. فلابد من تعرية سردية تقول: ما شأن لبنان والبلدان المساندة لمعركة غزة وفلسطين.

هذا منطق اما يصدر من الوعي المزيف والمصالح الضيقة الافق، او منطق الخيانة والاستسلام للعدو.

والا ما علاقة بريطانيا ببولندا لتشن بريطانيا الحرب على المانيا عندما احتل هتلر بولندا. وكم من الضحايا العسكريين والمدنيين قدمت بريطانيا نتيجة العمليات الالمانية الجوية والحصار البحري؟ وما هو حجم الدمار الذي اصاب لندن وبقية المدن البريطانية في الحملة المعروفة باسم "قصف لندن" او "دي بليتز" عندما قصفتها الطائرات البريطانية بـ 18300 طن (في غزة 70 الف طن حتى حزيران 2024) من القنابل والتي استمرت من تموز 1940 الى ايار 1941. حملة المانيا التدميرية هدفت الى الضغط على بريطانيا للموافقة على تسوية سلمية عن طريق التفاوض وترك اوروبا لحالها. اي كما يحاولون مع لبنان ومع بقية بلداننا اليوم في ترك فلسطين لحالها. ولماذا يصبح تشرشل بطلاً للحرب هناك، ويسعى البعض لادانة المقاومة هنا؟ ولماذا تقدم بريطانيا حوالي نصف مليون قتيل ومثلهم جرحى واسرى. و70 سفينة حربية و39 غواصة و3500 طائرة و75000 دبابة والية، الخ، ويعتبر ذلك نصراً يجب التعلم منه؟ بينما تقدم تضحياتنا وخسائرنا على انها عبثية وتهور وعدم استعداد يستعرضها البعض لنتخلى عن مقاومتنا.

كل هذا وبريطانيا تنفصل عن اوروبا ببحر عرضه 34 كم عند اضيق نقطة و240 كم في اعرض نقطة. ورغم الاختلاف الديني والقومي والمصالح الوطنية بين بريطانيا واوروبا. بينما يُرفض حق شعوبنا وبلداننا في الاصطفاف مع اشقائنا في فلسطين. مع كل الوشائج والمصالح والروابط الدينية والقومية والتاريخ والمصير المشترك بيننا.

لاشك انه عقل مختل الذي يقبل بوجود القوات الاطلسية في منطقتنا، بينما يرفض علينا التحرك للدفاع عن حقوق امتنا. هذا العقل المختل بعمله هذا يقر انه اسير النظام الاستعماري وهيمنة النظام العالمي. فالقضية ليست قضية تعريض مصالحنا للخطر عندما نقف مع قضايانا الكبرى. ولا تحمل تهديداً لامننا ومصالحنا عندما نقوم بذلك. بل على العكس، نتأمر على مصالحنا في

عدم الانخراط في معركة الامة. وعدم مواجهة القوى التي استعمرتنا وجزأتنا. وبنت لنا انظمة وحكومات وبناءات تأسرنا وتبقينا اسرى طموحاتنا الانانية. التي تموضعنا -كشعوب ودول واقليم- في المواقع الدونية من النظام العالمي، لتضع مستعمرينا ومحتلي ارضنا في المواقع العلوية منه.

4- الفرق بين الاعلام فترة السلم وفترة الحرب؟

المطلوب من الاعلام الشفافية والصدقية في فترة السلم لبناء المعرفة والوعي السليم. اما في فترة الحرب، فلابد من استمرار الصدقية، لكن باضافة الكتمان بكل ما يحمي المقاومة، ولا ينفع العدو. وبكل ما يشحذ المعنويات لدينا، ويتبطها لدى العدو.
ورغم ان "تشرشل" ليس قدوة لنا، لكن للاستفادة من التجارب فانه كان يقول: "في فترة الحرب، تصبح الحقيقة عزيزة الى درجة يجب احاطتها بسلسلة من الاكاذيب". كلامه هذا يقتبسه العدو اليوم. فنجد كيف يضرب رقابة مشددة على الاعلام والمعلومات، ولا يمر خبر الا بعد عرضه على الرقيب العسكري. وكيف يكذب. فما يهمه هو اقناع رأيه العام وارباك اوضاعنا ولو لفترات قصيرة. فهو لن يخجل ان اتضحت الكذبة بعد حين. اذ تكون الكذبة قد ادت مفعولها. وهذا كله ينسجم مع عقليته المنافقة المخادعة والمناورة، وهذه من اهم اسلحته.
اما عندنا فلم نولِ هذا الموضوع الاهمية اللازمة لنتكلم عن اعلامنا ومسؤولياته في فترة الحرب. فهناك سلوكان وليس سلوكاً واحداً. ففترات السلم تختلف عن فترات الحرب. فالكتمان في فترة الحرب ضرورية لكل وسائل النقل والاعلام سواء اكان ذلك فضائيات او اعلاميين او مواقع تواصل اجتماعي.
واذا ما تابعنا كيفية تغطية المعارك خلال الفترة القريبة المنصرمة. فسنجد العدو متكتماً، اما لدينا فكل شيء مكشوف. ولكل من هب ودب. وهذه تحمل

مخاطر كبيرة. ويقيناً فيها فوائد كبيرة للعدو. وهذه بعض الاثار والموضوعات التي تتطلب البحث المعمق:

أ- لكثرة الفوضى في نقل المعلومات لدينا، نجد ان الكثير من اعلامنا سيستند الى اعلام العدو. ويعتبره المصدر الاساس لما ينقله. بكل ما فيه من مضامين مدمرة لا تخفى على احد. وبالرغم من ان الممارسة برهنت ان عدونا يكذب واعلامنا صادق.

ب-اعلاميونا ومحللونا يتعاملون مع كتمان العدو كامر واقع ونهائي. ولا يسعون لتفكيك اكاذيبه ورواياته. ولان اعلام العدو يحتوي على الكثير من الاكاذيب او الاخبار السريعة، فسيكون بالامكان استخلاص الكثير من الحقائق من تشريح وتفكيك اعلامه.

فالكثير من اعلامنا ينقل مآسي وتضحيات شعبنا وكأنها نجاحات للعدو، بينما لا ينقل عن ساحات العدو سوى تصريحاته ورؤاه وانجازاته، فلا يقف كما يلزم عند ازماته وفشله. وفي ذلك اجحاف وغبن كبيرين للمقاومة ولشعبنا.

ففي الحرب، علينا ان لا نتصور انفسنا في مناظرات فكرية او سياسية. بل مهمتنا -كما قلنا- تفكيك اخبار وسرديات ووقائع العدو. وكشف الاضرار التي توقعه بها المقاومة من جهة، وشحذ الهمم ودعم المقاومة في جبهتنا من جهة اخرى. ولابد هنا ان نحيي الكثير من الفضائيات والاعلاميين والسياسيين والمثقفين الذين باتوا يشكلون مدارس اعلامية عظيمة، في كيفية دعم المقاومة والتصرف الناجح لتعرية سرديات العدو، وشحذ معنويات مقاتلينا وجمهورنا.

5- هل عطلت عملية البيجر واللاسلكي شبكة اتصالات المقاومة؟

حسب معلوماتنا، فان ما دمرته العملية هي شبكة في المستوى القاعدي والوسطي، وعلى الاغلب الخدمي والاداري، وليس العملياتي. رغم ذلك الخسائر عظيمة. فهي لاشك عرقلت اعمال المقاومة، وساهمت بالحرب

النفسية، لكنها قد لا تكون قادرة على تعطيل بنية المقاومة وتنظيماتها وشبكة اتصالاتها. واعتقد ان سماحة السيد نصر الله قد شرح الامر بما يكفي، وبانها لم تؤثر على السيطرة والقيادة في الجانب القتالي. فاذا كان القائد المجاهد "السنوار" قادراً على ادارة المعركة من غزة المحاصرة والمدمرة، فاعتقد ان قدرة حزب الله على تجاوز هذه الضربة، سيكون ممكناً على الاغلب كذلك. علماً ان هناك امور نجهلها، ويجب انتظار التطورات لتقييم ذلك كله.

فالمقاومة وتشكيلاتها ليست جيشاً من الموظفين المأمورين الذين ان ضربت شبكة اتصالاتهم ستنهار معها العلاقات التنظيمة والسيطرة والقيادة. فهناك اساساً شبكات اخرى عاملة موازية لهذه الشبكة. وهناك شبكات اتصال بطرق اخرى لم تصب باي اذى، وهي ما زالت عاملة. على العكس رب ضارة نافعة. فلاشك ان هذا العمل الذي استخدمه العدو تكتيكياً لادخال الفوضى في صفوف المقاومة، قد يكون ابطل مفعول استثمار هذه الثغرات في ظرف ومعركة اخرى يصعب التعامل معها. ولاشك ان هذا الخرق سيستثمر استراتيجياً من قبل المقاومة في بناء شبكة جديدة تحصن نفسها اكثر ويكون اختراقها اصعب. تأكيداً للقول المشهور، "ان الضربة التي لا تقصم ظهرك، تقويك".

اما الاختراق ذاته فانه درس كبير يجب استخلاص الدروس منه، لكنه لا يشير لضعف او قوة المقاومة. فلقد انقذ هتلر موسليني بعد الاطاحة به واعتقاله عام 1943. فوُضع موسليني في سجن منيع في اعالي الجبال. ونجحت الاستخبارات الالمانية من انجاح عملية تخليصه من الاسر التي طبل وزمر لها الكيان النازي انذاك. رغم ان مسارات الحرب بالنسبة لالمانيا كانت متراجعة وسيئة انذاك. فلم يغير هذا الانجاز الاستخباراتي او المثير من مجريات الحرب وانزلاق هتلر نحو الهزيمة المؤكدة.

كذلك اخترق تنظيم "القاعدة" كل الاستخبارات الامريكية في عمليات 11 ايلول ولم يتسبب ذلك في انتصار "القاعدة". وسقطت الموصل على يد مئات من الدواعش.. وكان لموقف الكثير من الفضائيات والاعلاميات العربية موقفاً معادياً من العراق ومروجاً لاطروحات داعش. فكانت المواقع تنهار بسبب الحرب النفسية وانهيار المعنويات، ووصلوا محيط بغداد وبدأت لعبة

"الدومينو" تفعل فعلها في تداعي المواقع والاحباط وفقدان الثقة بالقيادات. الى ان جاءت فتوى الجهاد الكفائي من مرجعية الامام السيستاني دامت افاضاته، فانقلبت الامور. وانتصر الميدان على العوامل النفسية والتجسسية. فما يقرر عوامل القوة والضعف هو حقائق وتراكمات الميدان الراسخة، وليس الاعمال التخريبية او الاستخباراتية، او النفسية، التي قد يكون اللجوء اليها من علائم الضعف وليس القوة. وتراكمات الميدان الراسخة تشير الى تفوق جبهة المقاومة على جبهة العدو في اللوجستيكيات الميدانية استراتيجياً، وعلى تفوقه علينا في المناورات التكتيكية والمعلومات الاستخباراتية والذكاء الاصطناعي وقدرته على تحديد المواقع وحركة القادة والافراد. فكما ذكر سماحة السيد حسن فان الجاسوس الاخطر لم يعد الرجال، بل الهاتف والاجهزة والكاميرات الموجودة في كل مكان. وهو ما يتطلب ان يعطل شبابنا وعلماؤنا وفنيونا اثر هذه التقنيات. ويحولونها من عامل قوة للعدو الى عامل ارباك وتشويش عليه وقوة لنا. تماماً كما حول شبابنا وجماهيرنا -في الكثير من البلدان- "التيك توك" وبعض وسائل التواصل الاجتماعية الاخرى، الى ادوات لنقل الصور والاخبار والسرديات، والتي استطاعت الوقوف بوجه الاعلام المعادي وفضائياته وقدراته الهائلة، والتفوق عليه.

6- هل يقود اغتيال بعض القيادات الى فراغ قيادي؟

قيادات المقاومة ليسوا خريجي الجامعات العسكرية، بل اكتسبوا الخبرات نتيجة تراكم المهام القتالية لمجاميع مقاتلة في ساحات المعارك. فالعشرات والمئات والالاف من الذين يساهمون في المعارك القتالية طوال عقود، هم قادة يمتلكون تقريباً نفس الكفاءات والمهارات مع رفاقهم من الذين تسنموا مناصب قيادية. لذلك عندما يسقط قائد الكتيبة فان العشرات من الذين يمتلكون نفس كفاءاته يمكن ان يحلوا مكانه. فالقائد ليس قائداً لانه ارفع رتبة. بل لعوامل اخرى عديدة. منها علميته الدينية وشجاعته، وتاريخه، وخصال محددة فيه. وهذه كلها لا ينفرد بها بالضرورة، او انها لا تتوفر لدى بقية

المقاتلين من اقرانه. وقد تكون كفاءة قائدين سبباً لتسنم ثالث المنصب. فالقيادة ليست كما قلنا رتبة او ترقية روتينة كما يحصل في مؤسسات الجيش النظامية. نعم ستكون هناك دورات. وقد يتخصص بعض المقاتلين لتصبح لهم مؤهلات خاصة للقيادة. لكن الدورات هنا ليست بعثات شخصية او فردية لدول اجنبية بل هي دورات جماعية يتلقى فيها عدد غير قليل ذات المعلومات وذات المهارات.

فخلاف الجيوش النظامية للمنظومات التي تستورد النظم الغربية، فانه لا توجد في الحركات الثورية، ومنها حركات المقاومة مطامح وظيفية (اشدد وظيفية) للفرد او القائد، بان يمتلك تخصصات في اكاديميات ومعاهد او دورات ليحظى بمكانة استثنائية، لا يمتلكها غيره تؤهله للقيادة. فالخبرات والكفاءات موزعة جماعياً. لذلك لا يوجد استفراد او تخصص لا يمكن تعويضه. ولذلك تأتي عملية البديل سريعة، والى حد كبير ميسرة، وتحمل ذات الكفاءات، واحياناً اعلى. لهذا نستطيع القول ان القيادات في التشكيلات الثورية وحروب العصابات والحروب الشعبية الطويلة الامد تفرضها حركة القاعدة ونجاحاتها، وليس مجرد القيادات وقراراتها. وهذا الامر يخص القائد الاعلى نفسه. فرغم اهميته وثقة المقاتلين به، لكن الثقة هذه موجودة بكثيرين غيره.

وما رحيل واغتيال الشيخ راغب حرب وعباس الموسوي وصعود قيادة السيد حسن نصر الله سوى مثال على ذلك. او غياب السيد الخميني ومجيء السيد الخامنئي، او غياب الشهداء سليماني والمهندس، والعاروري وهنية ومجيء بدائلهم بسرعة وكفاءة الا دليل على ما نقول. فقضية الفراغ القيادي في الحركات الثورية -ومنها حرب العصابات وحروب التحرير الشعبية الطويلة الامد- تعتمد خلفيات تحمل عقيدة الامة ومصالحها العليا، وبالتالي الذوبان والاندكاك في قضية الامة. لذلك القول "نصر او استشهاد". خلاف العسكري النظامي الذي منطقه نصر او اسر واستسلام. كما تعلمنا كتب الجيوش. فالاجراءات هنا روتينية ووظيفية ومسلكية، تتقدم فيها الكفاءات المهنية والطموحات الخاصة و"الكاريزما" الخاصة، وعلاقة العسكر بالمنظومة السياسية والمصلحية، على ما عداها.

اضاءة اخرى يهمنا الاشارة اليها. بان القتال الذي تطور اليوم هو ليس بين حركات سياسية ودولة الكيان الغاصب. انه دخل مرحلة قتال الامة ضد الكيان وحلفائه. وهذا في رأينا فرق عظيم. صحيح ان المقاومة مرت بمراحل عديدة من حركات وطنية وقومية واسلامية. لكنها حركات اجتهدت في استثمار الروح الوطنية او القومية او الاسلامية. وهو ما سنسميه بالحالة الاولى. اما الان (اي الحالة الثانية) فان ما بدأ بالتحرك هو روح او كيان الامة نفسها الذي هو بتعريفه الاول يحتوي الوطني (الدولة) والقومي (الاقليم) والمعتقدي (الاسلام). الحالة الاولى بنجاحاتها واخفاقاتها اجتهادات واقتباسات واستلهامات من النزعة الوطنية او القومية او الاسلامية او خليط من ذلك كله. انها من صنع الرجال – واحيانا مستلهمة او مستوردة من تجارب خارجية-. لذلك كانت قابلة للهزيمة باغتيال قائدها او زعيمها او بهزيمة التنظيم. ولعل ذلك ما مهد لبلوغ الحالة الثانية. فما تحرك هو الامة بعقيدتها. ملهمة الرجال الى اشكال العمل والتنظيم الذي لا يمكن هزمه الا بهزم الامة كلها. فالفردي هنا تحول الى جماعي. كخلايا الجسم وقطرات الدم التي تتدافع لتختر (او تقتل نفسها) لتوقف النزف وتقضي على المرض. فالذاتية والفردية هنا ذابت الى ابعد الحدود. فلا شعور او احساس لها الا بجماعيتها وبكيانها المتكامل. لترتبط ارتباطاً وثيقاً ببارئها تستلهم منه النصر. فهي بالنسبة للمؤمنين بهذا الخط لا يمكن هزمها، لا باغتيال ولا بغياب قائد ولا بهزيمة تنظيم. اذ سيتحول الى وعد الهي وايمان بالقوى الغيبية التي وعدوا بها.

فالخسائر والتضحيات ستعوض لاعتبارات لا تمتلكها اشكال التنظيمات الاخرى. وان مقاربة مع احداث حقيقية حصلت ستبين بعض الخطوط الفارقة بين تحرك الامة اليوم، وتحرك التنظيمات بالامس.

فبعد معركة أُحد تنادى البعض بمقتل النبي صلى الله عليه وآله، وحصلت بلبلة في صفوف المسلمين. فجاءت الاية الكريمة { وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين}. فحتى موت او قتل رسول الله لن يضر الله شيئاً. فالقضية خرجت من ايدي البشر، واصبحت زخماً الهياً عظيماً

لا يمكن هزيمته. والامثلة بين الحالتين كثيرة ويمكن الاستدلال بها. ومنها استشهاد الحسين عليه السلام وتحول قضيته الى ثورة غير منقطعة. وكلام زينب عليها السلام في مجلس يزيد "فو الله ما فريتَ الا جِلَدك، وما جززتَ الا لحمك".. "ألا فالعَجَب كلّ العجب.. لقتل حزبِ الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء!".. "فكِد كيدَك، واسعَ سعيَك، وناصِب جهدك، فواللهِ لا تمحو ذِكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تُدرِكُ أمَدَنا، ولا تَرحضُ (تغسل) عنكَ عارها، وهل رأُيك إلا فَنَد، وأيامك إلا عَدَد، وجمعك إلاّ بَدَد.. وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل".

7- الفرق بين المهاجرين والضحايا اللبنانيين والفلسطينيين من جهة، والصهاينة من جهة اخرى؟

المهاجر الصهيوني لن يعود في اليوم التالي لوقف القتال، بينما المهاجر المقاوم سيعود في اليوم التالي، بل حتى اثناء القتال اذا ما وجد فرصة لذلك. الاول مغتصب حق اعطي له من جهة لا تمتلك هذا الحق، والثاني مالك او صاحب حق ورثه اب عن جد. فرقبة ملكيته شرعية لم يحصل عليها من احد غصباً واحتلالاً وجوراً وظلماً. وهذا كله ليس بالعناوين القانونية المجردة، بل بمنطق حقوق الانسان والبشر في دينهم وارضهم وعرضهم، وفي مطلق وجودهم وحريتهم وخياراتهم، الخ. لذلك سيحتاج الاول الى قوة للاحتفاظ بملكه. بينما الثاني سيتحدى القوة الغاصبة لاستعادة ملكه. ملكية الاول ليس فيها روح او ذكريات او تاريخ تدفعه لان يموت من اجلها. فالدولة وجيش الدولة والمستعمِر هم من يحمون له ملكه. بينما يصبر الثاني، ويموت قتالاً عن ملكه. سواء كانت له دولة تسانده او لم تكن له دولة. وسيورث هذه المسؤولية لعقبه، يقاتلون من اجل ذلك. المهاجر الصهيوني عبء على الدولة وميزانيتها، بينما يتحمل عبء الثاني اجتماعه. فتتوزع الاعباء وتتحول الى تضامن وتعبئة وطنية لا مثيل لها.
كذلك في قضية الموت والقتل. فالاول قتيل ستخسره عائلته ومعارفه ويحزنون عليه، بل قد يصابون بالانهيار بسبب ذلك. بينما الثاني شهيد ستحزن عليه

عائلته ومعارفه لكنه سيتحول الى ايقونة وقدوة تفتخر بها عائلته ومعارفه. ويصبح اولاده مضرب الامثال بانهم اولاد الشهيد. ففي الحالة الاولى سيخسر مجموعهم ليس من خرج من المعركة فقط، بل ايضاً من دخل اليأس والاحباط الى قلبه، وهذا قد يكون او يصبح مصير الكثير من المستوطنين اليوم. بينما سيضاف لمجموع الفريق الثاني الالاف وعشرات الالاف والملايين من الذين يؤمنون بان الموت في سبيل الله شهادة، وان الشهادة هي احدى الحسنيين، النصر او الشهادة.